

الموروث الديني في شعر ابن هاني الأندلسي

م.منير عبيد نجم
جامعة بابل /كلية التربية الأساسية

التمهيد

نظرة في حياة الشاعر ابن هاني الأندلسي

نشأته وثقافته : -

هو أبو القاسم محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الاسدي ، ولد في قرية سكون من ضواحي أشبيلية عام ٣٢٠ هـ . (١) من أسرة ذات مجد وأدب وعلم يتصل نسبها بسلالة المهلب ابن أبي صفرة الاسدي القائد الإسلامي المشهور في دولة بني أمية (٢) ثم انتقل مع أسرته الى البيرة (قرب غرناطة) لذلك أصبح يعرف باسم ابن هاني الالبيري (٣) كان أبوه هاني شاعراً وأديباً نشأ في قرى المهديّة عاصمة الدولة الفاطمية الأولى في المغرب ثم هاجر من قريته إلى أشبيلية في الأندلس إذ ولد ابنه محمد فأخذ يشجعه على الارتواء من مناهل المعرفة والتزود من ينابيع الشعر والإكثار من نظمه (٤) نشأ ابن هاني وترعرع في بيئة أشبيلية الحافلة بألوان الحضارة والفن والأدب واختلف الى مجاميع العلم والأدب يثقف نفسه ويهذب عقله ويكون ملكته تكويناً يصل بينه وبين الحياة بأسباب الطموح والأمل ثم رحل منها الى قرطبة التي كانت تزخر بالجامعات والعلماء وألوان الثقافة والحضارة يقول ابن الأبار " أكثر تأدبه في دار العلم في قرطبة " (٥) فعكف على تزويد نفسه وبناء ثقافته حتى صار شاعراً كبيراً ذا قريحة وقادة ومقدرة باهرة على قول الشعر والظاهر ان رحيله إليها في بدء حياته كان لهذا الغرض دون سواه (٦) اتصل في أول عهده - بعد ان أصبح شاعراً لا يقل عن غيره من الشعراء الممتازين - بصاحب أشبيلية ومدحه وحظي عنده بمنزلة رفيعة ، غير ان غلوه في تشييعه وبغضه للأمويين وملوكهم منكرًا لحقهم في الخلافة الإسلامية وإعتقاده إمامة الفاطميين يشيد بدعواهم ويذيع محامدهم ويؤيدهم بروحه وقلبه ولسانه جعل الاشبيليين ينتقمون عليه حتى هموا بقتله لما يمثله من خطر على نظامهم السياسي والاجتماعي ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا يسيؤون المقالة في حق الملك بسببه (٧) فأشار عليه أمير أشبيلية بالخروج من المدينة لينسى خبره ، فامتثل الأمر وخرج من المدينة خائفاً يرتقب فلم يجد سوى (المهديّة) موطن الدعوة الفاطمية ملاذاً آمناً يأوي إليها وكان ذلك في السنة السابعة والعشرين من عمره (٨) وقد كشف الشاعر فيما بعد عن سبب ابتعاده من الأندلس وعزا ذلك الى عقيدته الشيعية فقال بازدهاء (٩) :

وما نقعوا الاقدمين تشيع
فنجى هزبراً شدة المتدارك

استقر ابن هاني في المغرب وأخذ ينتهز الفرص ليذيع شعره ويظهر شاعريته ثم دفعته همته وماضي أسرته العريق الى السير في طلب الشهرة والمجد وبدأ يتصل برجال الدولة الفاطمية وهياً له حسن الصدف اللقاء مع القائد جوهر عام ٣٤٧ هـ الذي فتح مصر وأخضعها للمعز الفاطمي (١٠) وقد بالغ ابن هاني في مدحه ونظم قصيدة ذكر فيها هذا الفتح وأثره مجوهرًا بطولته وحزمه ومجده الحربي وولائه للخليفة المعز وللمذهب الفاطمي يقول فيها (١١) :-

وابيض من سرّ الخلافة واضح
أريك به منهج الخلافة مهيعاً
فقربه وأكرمه وأمر له بهدية .

ولعل عطايا جوهر لم تكن تناسب آمال الشاعر وطموحاته وعزمه على الظهور فقد كان يسمع بعطايا الأمراء وجوائزهم الطائلة التي تقلب حياة الشعراء رأساً على عقب وتدعهم يعيشون حياة الترف والنعيم ففكر في عظيم آخر يعيش في ظلاله ويستقر في رعايته (١٢) .

فرحل إلى الزاب واتصل بجعفر بن علي الفاطمي وأخيه يحيى سنة ٣٤٩ هـ (١٣) .

لما سمع بجوده وأريحيته وتقريبه العلماء والشعراء فمدحه بقصيدة طويلة وصف فيها بطولاته وجهاده وآثاره السامية ومما قال فيها (١٤) :

خلقت شهاباً يضيئ الخطوب
ولست شهاباً يضيئ الظلم
وأنتك من معشر طفله
يتوج قبل بلوغ الحُلُم

ثم يذكر فيها عسف الزمان به وتحالف الخطوب عليه مصوراً عفاقه وهمته اللذين كانا سبب محنته يقول (١٥)

ادم اليك اعتواء الخطوب
ومما اعان عليّ الزمان
وصدف الحوادث فيما أدم
عفاف يدي وعلو الهمم

تلقى الأمير ابن هاني الأندلسي بالتقدير والعطف ودعاه الى الإقامة في كنفه ، فبدأ ابن هاني حياة جديدة ملؤها الأمل والرخاء في ظلال جعفر وأخيه يحيى يقول في جعفر (١٦) :

وفي موضع آخر يتحدث عن نفسه وصنيع يحيى الفاطمي معه^(١٧) :

وما زلت ترميني الليالي بنبليها
وانجدني يحيى على كل حداثث
وارمي الليالي بالتجلد والصبر
وتوجني تاجاً من العز والفخر

عاش ابن هاني في الزاب نحو عامين لم يكن همه فيها الا حضور مجلس الامير والاتصال برجال الدولة والتمتع بنعيم الحياة وجمالها حتى صارت الزاب عنده جنة النعيم^(١٨) :

أما الزاب جنة لخليفها
من نجاة نضارة التقويف

واشتهرت قصائد ابن هاني الأندلسي في مدح جعفر وأسرته وتحدث بها الناس ورواها الأدباء والرواة وبلغ خبر الشاعر للخليفة المعز لدين الله الفاطمي فأرسل الى جعفر طالباً منه ابن هاني وامثله جعفر للأمر^(١٩) وفي عام ٣٥٠ هـ وصل ابن هاني القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية فسعى الى الخليفة المعز ومثل بين يديه وأنشده شعره وأصبح ابن هاني في الحقبة (٣٥٠ - ٣٦٢) هـ شاعر الخليفة^(٢٠) فقد نظم في مدحه أكثر من ثلاثين قصيدة من أطول قصائده الفنية واروعها والتي تبلغ نصف تراثه الادبي وتسمى (المعزيات) على غرار ما عرف الكميت بالهاشميات وابي فراس الحمداني بالروميات^(٢١) . لقد كان المعز الفاطمي على جانب عظيم من التفهم وبعد النظرة وكان من المثقفين ثقافة عالية وشاعراً رقيقاً واذا اضفت الى ذلك ما تحلى به من السجايا وخصال الزعامة ومنزلة روحية عند المذهب الاسماعيلي ادر كنا سبب اعجاب ابن هاني به ومديحه له حتى صار شاعر الدولة الأول الذي اوقف نفسه وفنه على الزياد عنها والإشادة بمجدها وشاعر العقيدة الفاطمية الذي تحدث عن مبادئها الروحية ومعتقداتها الدينية واحتل في دولة المعز الفاطمي مكاناً لم يحتله سواه من الشعراء وأصبح حديث الناس في محافلهم كما صار شعره أنشودة في كل فم وقد أعقد عليه المعز المال إغداً واتخذ له قصيراً بالقيروان وعاش حياة النعيم والرخاء^(٢٢) . وفي أواخر شوال سنة ٣٦١ هـ انتقل المعز لدين الله إلى القاهرة فخرج ابن هاني مشايحاً له ، ثم عاد وجاء بأهله وسار يريد القاهرة ولما كان في (برقة) وجد مقتولاً ٣٦٢ هـ ولم يتفق المؤرخون على سبب قتله وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ولكن بعضهم يرى ان لبني أمية يداً في مقتله لأنه كان يقذعهم في هجائه ، وكيف كان الأمر فإنه مات ولم يتجاوز السادسة والثلاثين^(٢٣) من عمره .

ولما بلغ المعز وهو في مصر خبر مقتله تأسف عليه كثيراً وقال لا حول ولا قوة الا بالله هذا الرجل من نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك^(٢٤)

(خصائص شعره)

يدل شعر ابن هاني الأندلسي على انه كان ملماً بعلم اللغة والفقه والكلام ولكن تخصصه كان في الادب وهو شاعر مكثر مجيد جعله معظم النقاد في مقدمة شعراء المغرب يقول ابن خلكان (ليس في المغاربة من هو في طبقة لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق)^(٢٥) والمغاربة يقرنونه بالمتنبي ويسموه بمتنبي المغرب أو متنبي الغرب وهو ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه قائلاً (ابن هاني الأندلسي أديب شاعر مفلح اشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة وهو عندهم كالمتنبي عند أهل الشرق)^(٢٦) .

ونستطيع أن نقف على أبرز مميزات شعره

- ١- كان ابن هاني يعني باللفظ أكثر من عنايته بالمعنى فيعتمد الألفاظ الجزلة والفخمة ذات القعقة ، وهذا ما جعل أبا العلاء المعري يقول حين سمع شعره " ما أشبهه الا برحى تطحن قروناً " ^(٢٧) لأجل القعقة في ألفاظه . أما معانيه فكانت سهلة واضحة المنال بعيدة عن الغموض والتعقيد .
- ٢- ينزع في معظم شعره الى روح البداوة التي تأثر بها في ما قرأ من شعر الجاهليين والإسلاميين فهو لا يمثل ترف المحدثين ولهوهم وخيالهم الفني وإنما ينهج منهج الجاهليين في قوة الطبع وفخامة الأسلوب وإشراق الديباجة .
- ٣- غلب على شعره الحجاج والجدل والتعليل المنطقي بما عرف عنه من قوة واندفاع إذ كان يعتقد المذهب الاسماعيلي ويحمل آراءه وأفكاره حتى كثر في شعره ذكر المآثر والمناقب الفاطمية .

هوامش التمهيد

- ١- ينظر وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣ / ٥ ، ينظر نفح الطيب للمقري : ٢ / ٢٦٤ ، ينظر موسوعة شعراء الاندلس عبد الحكيم الوائلي : ٣٣٣ ، ينظر شعراء العصر الاندلسي محمد العريس : ٤٠١
- ٢- ينظر تاريخ الادب العربي د . عمر فروخ : ٤ / ٢٦٦
- ٣- ينظر المغرب في حلى المغرب لأبن سعيد المغربي : ٢ / ٩٧
- ٤- ينظر موسوعة شعراء العصر الاندلسي محمد العريس ٤٠١
- ٥- الديوان : ٥
- ٦- ينظر الادب الاندلسي التطور والتجديد د . محمد عبد المنعم الخفاجي : ٤٠١
- ٧- ينظر ملامح الشعر الاندلسي د . عمر الدقاق : ٨٠
- ٨- ينظر الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة د . أحمد هيكيل : ٢٣٣
- ٩- ينظر ملامح الشعر الاندلسي د . عمر الدقاق : ٨٢
- ١٠- ينظر الادب الاندلسي التطور والتجديد د . محمد عبد المنعم الخفاجي : ٤٢٩
- ١١- الديوان : ٧٦
- ١٢- ينظر الادب الاندلسي التطور والتجديد د . محمد عبد المنعم الخفاجي : ٤٢٩
- ١٣- ينظر تاريخ الادب العربي – عصر الدول والامارات / مصر د . شوقي ضيف : ٢٤٣
- ١٤- الديوان : ٣٢٩
- ١٥- المصدر نفسه : ٣٣٥
- ١٦- المصدر نفسه : ٧٢
- ١٧- المصدر نفسه : ٨٢
- ١٨- المصدر نفسه : ٩٢
- ١٩- ينظر الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة د . أحمد هيكيل : ٢٣٤
- ٢٠- ينظر ابن هانئ الاندلسي عارف تامر : ٢٧
- ٢١- ينظر المصدر نفسه : ٢٨
- ٢٢- ينظر ملامح الشعر الاندلسي د . عمر الدقاق : ٨٦
- ٢٣- ينظر الديوان : ٦
- ٢٤- ينظر تاريخ الادب العربي د . عمر فروخ : ٤ / ٢٦٧
- ٢٥- ينظر وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣ / ٥
- ٢٦- معجم الادباء ياقوت الحموي : ٩٣ / ١٩
- ٢٧- الديوان : ٧

المبحث الأول / أثر القرآن الكريم في شعر ابن هانئ الأندلسي

توطئة :: القرآن الكريم كلام الله الذي ترفع وتجلّى عن كلام البشر فهو " إن أوجز كان كافياً وإن أكثر كان مذكراً وأن أومئ كان مقنعاً " (١) إذ حوت لغته كل صفات الجمال والتأثير وطغى أشعاعه النفسي والعقلي والفني على كل أساليب التعبير (٢) فأضحت الفاظه ناطقة وموحية . وكان ابن هانئ أحد الشعراء الأندلسيين الذين استلهموا من نبع القرآن الكريم إذ تنفس شعره بالعطر الإلهي وانطبعت آثاره وبصماته على معظم أغراضه الشعرية ، فبات الشاعر يتنقل بين رياض القرآن الكريم الرحبة متأثراً بنماذج الفنية – لغة وتركيباً وذوقاً – ولعل الثقافة الدينية الواسعة التي ألم بها ابن هانئ الأندلسي في شبابه حين درس القرآن الكريم وعلومه وأجاد في حفظه مما نفعه في مستقبله الأدبي (٣) إذ صبغ أسلوبه بصبغة القرآن الكريم اللغوية حتى كان فيما يعد المجيد في الاقتباس من الذكر الحكيم . لقد استلهم ابن هانئ الأندلسي النص القرآني وعمل على توظيفه في داخل المتن الشعري بما يتناسب وموضوع قصيدته ، فقد جاء استلهامه للنص القرآني على مستويات ثلاث :

أولاً : المستوى الأول

المحافظة على الشكل البنائي (دلالة وتعبيراً) للنص القرآني فكان نقلاً حرفياً إذ لازمت البنية القرآنية الداخلة في النص الشعري على دلالتها دون أيما تغيير كقوله (٤)

فلا تسألاني عن زماني الذي خلا فوالعصر اني قبل يحيى لفي خسر

فيا ابن علي اما مدحتك جاهلاً فأفك لم تعدل بشفع ولا وتر

وهي صورة استلهمت معطياتها من قوله تعالى (٥) {والعصر إن الإنسان لفي خسر}

وقوله تعالى (٦) { والفجر وليال عشر والشفع والوتر } وليس ثمة مبرر لهذا الغلو في تقديس الممدوح إلا المنفعة في القربى منه وانتهاز المواقف ، فلا بد ان يتميز الشاعر في ادائه وابتكاره في صيغته ليتقدم على غيره من الشعراء مستثمراً معطيات الآيتين الكريمتين للوصول الى مبتغاه .

وقوله لأمير الزاب (٧)

لعمري لقد أيدت يوم الوغى به كما أيدت كفالك بالانمل العشر

كذلك ناجى الله موسى نبيه فنادى أن شرح ما يضيق به صدري

وهي صورة مستقاة من قوله تعالى (٨) {قالَ رَبِّ اشرحْ لي صدري * ويسرْ لي أمري * واحلْ عقدةً من لساني * يفقهوا قولي * } وأجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أشدْ به أوزري { فكانت هذه الصورة بمثابة الخلفية لتلك الصورة ، وكما أن موسى (ع) ناجى ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً يعاضده ويناصره في دعواه كذلك اتخذ أمير الزاب من جوهر الفاطمي سنداً له يكفيه اعداءه في ساحة القتال .
وقوله (٩)

ولك الجواري المنشآت مواخراً
والحاملات وكلها محمولة
والاعوجيات التي إن سوبقت
الطائرات السابحات السابقا
أعززت دين الله يابن نبيّه
فكنت لك الابصار وانقادت لك
يفديك شهر صيامنا وقيامنا
فيه تنزل كل وحي منزل
تجري بأمرك والرياح رخاء
والناتحات وكلها عزاء
سبقت وجري المذكيات غلاء
ت الناجيات إذا أسحت نجا
فاليوم فيه تخمط وإباء
الاقدار وأستحبت لك الانواء
ثم الشهور له بذاك فداء
فلأهل بيت الوحي فيه ثناء

إن قراءة سريعة لهذه الأبيات توضح لنا كثرة اعتماد ابن هاني الأندلسي للأخذ من القرآن الكريم والافتقار من آياته وصوره بصورة مباشرة فقوله (ولك الجواري المنشآت الى قوله الطائرات السابحات) تعطي انطبعا أكيدا على الاعتماد على ماجاء في الذكر الحكيم من سورة الرحمن (١٠) {وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام } وقوله تعالى (١١) {فالسابحات سبقت } ليؤلف منها صورة شعرية تزخر بجو إيماني التأثير . وفي صورة أخرى يتأثر ابن هاني بما كان يشعر به النبي داود (ع) من الذنب والرغبة الصادقة في طلب التوبة والمغفرة موظفاً قوله تعالى (١٢) { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب } إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط وإهدنا سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال إكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وأن كثيراً من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود إنما فتنناه فاستغفر ربّه وخرّ راکعاً واناب * فغفرنا له ذلك وأن له عندنا لزلفى وحسن مآب {

ويجعل من هذه السورة القرآنية معادلاً موضوعياً لموقفه أمام جعفر بن علي فبعد أن يصفه بالكرم والشجاعة والمقدرة على تسيير الأمور مما جعل الإمام الفاطمي يسد به الثغور مثلما استعان النبي (صلى الله عليه واله) بالأنصار ليهزم الأحزاب المجتمعة في معركة الخندق والأنصار يمانيون والممدوح من ملوكهم ، وان الشاعر قد أذنب - دون قصد - في إرجاع نسبه الى غيرهم ، مثله مثل داود عليه السلام في هذا الموقف ، ولائموه مثل الخصمين الذين تسورا المحراب عليه وها هو تائب أسوة بتوبة داود (ع) قال (١٣) :

سَدَّ الأمام بكِ الثغورَ وقبله
أنتم دَوو التيجان من يمن اذا
هبنى كذي المحراب فيك ولومي
فأنا المنيب وفيه أعظم أسوة
هزَمَ النبي بقومك الاحزابا
عُدَّ الشريف أرومةً ونصابا
كالخصم حين تسوروا المحرابا
قد خرّ قبلي راکعاً وأنابا

ولقصة نبي الله سليمان بن داود (ع) وافتتاحه بعرض الخيول الضامرة السريعة حتى غربت الشمس وغفل عن الصلاة في قوله تعالى (١٤) { ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * } إذ غرض عليه بالعشي الصافنات الجياد * فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * رُدُّوها علي فطفق مسحاً بالسوق والاعناق { استحضار في مدح الشاعر للمعز الفاطمي فيذكر ركوبه في بعض الأعياد إذ يصف الخيل ذات الحوافر المخضبة بالدم الأحمر مما وطنته في جماجم الأعداء المفلفة بأنها تمزق في جريها - لتحقيق النصر - أسهماً على الخارجين على الدين والممدوح قد اختارهن لحب سليمان (ع) للضمير الأصيلات منهن ولكنه لو رأى ما رأى الممدوح منهن في هذه الواقعة حين تتوارى الشمس خلف حجاب الظلام لم يقل رُدُّوها علي ولا يضرب سوقها وأعناقها إذ يقول (١٥) :

وتراها حُمر السنايك مما
اللواتي مرقن من اضلع النص
أنت أصطفيتهن حُب سلّما
لو رأى ما رأيت مئها الى أن
لم يقل رُدُّوها علي ولا يط
وطئت في الجماجم الافلاق
ر أسهماً على المراق
ن قديماً للصافنات العناق
تتوارى شمس بسجف الغساق
فق مسحاً بالسوق والاعناق

فاستلهمت هذه الصورة معطياتها من تلك الآية القرآنية .

وهكذا نجد أن الشاعر قد أستطاع عبر هذا المستوى من نقل جوهر الحدث القرآني في الصورة القرآنية بجزئياته الى ساحته الشعرية فنتج عن ذلك علاقة تربط السورة القرآنية بما يريد الشاعر التعبير عن دون أن يتدخل في هذا النقل سوى الربط بينهما ببعض الروابط اللغوية .

ثانياً : المستوى الثاني :: عمد فيه ابن هاني الأندلسي الى تكتيك آخر عبر اتكاء النص الشعري على النص القرآني من غير المحافظة على البنية التعبيرية القرآنية فيتواصل النسان ويذوب أحدهما بالآخر دون ان تختفي المعالم الدلالية للنص القرآني ، ويتطلب ذلك القيام بعملية تحويلية للنص والخطاب القرآني وعلى المستويات كافة (لفظاً ودلالة ، حذفاً وتوليداً ، تكتيفاً وتوسيعاً) يظهر ذلك جلياً في قوله (١٦)

وما الناس الا ظاعنٌ ومودعٌ
نساقٌ من الدنيا الى غيرِ دائمٍ
فما عاجلٌ نرجوه الا كاجلٍ
ولا أجلٌ نخشاهُ الا كعاجلٍ

أن فلسفة الحياة والموت تبدو ظاهرة جلية للجميع ولكن صيغتها في هذه الأبيات تمتلك القوة والقدرة على زرع الزهد في الحياة ونبذ البقاء ، فالدنيا غير دائمة على حال والبقاء عليها أصبح من غير فائدة والعاجل كالأجل والذي نخشاه ونحذر لا بد أن يقع مستقيماً ذلك كله من قوله تعالى (١٧) { ما أصاب من مصيبةٍ في الارضِ ولا في انفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيرٌ } لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلَّ مغتالٍ فخورٍ } ونراه في موضع آخر قد عمد الى نقل أحاسيس ومشاعر أهل الفقد من التفكير بمصائبهم الأليم الى التفكير في فلسفة الحياة مما يولد في نفوسهم شيئاً من العزاء يساعدهم في تجاوز ما ألمَّ بهم ، والظاهر أن هذه التأملات كان منشؤها ثقافة ابن هاني الأندلسي وتأثره بمذهب الفلاسفة في الاستدلال العقلي حتى بات هادئاً رزيناً أمام المصيبة يقول (١٨)

الا كلُّ أتٍ قريبٌ المدى
وما غرَّ نفساً سوى نفسها
فأقصرُ في العينِ من لفنةٍ
فهذه الأبيات تبدو وكأنها ترديد لقوله تعالى (١٩) {إن ما توعدونَ لآتٍ وما أنتم بمعجزين}

وقوله تعالى (٢٠) {كلٌّ من عليها فانٍ } ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.}

إذ يتحدان في المعنى ويختلفان في الصياغة . وفي هذا المستوى تبدو براعة الشاعر و مقدرته في استجداء كوامن المتلقي بحضوره الذهني في عملية رصد ظواهر الصورة الشعرية وتحليل معالمها وكشف مرجعياتها ذلك حين تختفي صورة قرآنية وراء صورة شعرية جسد ابن هاني بها موقفاً من المواقف الحياتية أو فكرة أراد تثبيتها والتعبير عنها فتساهم مخيلة المتلقي في الكشف والربط بين الصورة الشعرية والصورة القرآنية باحثاً عن المورد الذي استقى منه الشاعر صورته فهو يعتمد الى المزج بين آيتين أو أكثر للوصول الى أقصى حد ممكن في شد التوتر الدلالي لدى القارئ يظهر ذلك جلياً في قوله (٢١)

أنظرُ إليه وفي التحريك تسكينٌ
تبارك الله ما امضى أسننته
كان بيتٌ سلاحٍ فيه مختزنٌ
كأنما الحملُ المشوي في يده
فليسَ ترويه أمواه الفرات ولا

يقوته فُلُكُ نوحٍ وهو مشحونٌ إذ عمد الى مجموعة من القصص القرآنية ((قصة يونس (ع) وقصة نوح (ع))) موظفاً إياها في هجائه لأكل ، مصوراً حركة فمه في الفتح والإطباق بالتقام التنانين للطعام مشبهاً أسنانه بالطواحين وجوفه ببيت السلاح الذي أعدته الفراعنة للرسول وابتلاعه للطعام كابتلاع الحوت ليونس (ع) وهو في شرهه هذا لن ترويه مياه الفرات ولن تقوته سفينة نوح (ع) وهي مشحونة بالطعام . وفي موضع آخر يدعو للتأمل في الموت مؤكداً على ان الهدى ينبع من القلب وبه يكون التبصر والتدبر دون العين إذ يقول (٢٢)

ولم أرَ كالمرء اللبيب
وليس النواظرُ إلا القلوب
يرى ملء عينيه ما لا يرى
وأما العيونُ ففيها العمى

ومن ذلك قوله أيضاً (٢٣)

إنا وفي آمالٍ انفسنا
لنرى بأعيننا مصارعنا
طولٌ وفي أعمارنا قتصرُ
لو كانت الأبوابُ تعتبرُ
اجفاننا والغائب الفكرُ
مما دهانا إن حاضرنَا

لو كان للألباب ممتحنٌ
أي الحياة ألد عيشتها
خرست لعمر الله ألسننا
من بعد علمي إنني بشرٌ
لما تكلم فوقها القدرُ

إذ عمد الى تصوير الطبيعة البشرية وما ستؤول اليه بعد حين من الزمن ، فمن الأمنيات العظام التي يمني المرؤ فيها نفسه الى الموت الحتمي الذي يقف حائلاً بينه وبين ما تصنعه مخيلته من آمال وطموحات معللاً ذلك بالعمى الذي أصاب الفكر دون البصر مستقيماً صورته الشعرية من قوله تعالى (٢٤) { أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } وقوله تعالى (٢٥) { لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالإنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } وقد يعمد الى خلق جسور دلالية جديدة استناداً الى حدث او قصة قرآنية قاصداً الغاية النفعية التي تقربه من الممدوح فيسرد لنا سرداً وصفياً عن آباء الممدوحين كيف حموا مكة وشعابها ووهادها ورباها من جيش أبرهة الذي أخذ يطوي الليل بالنهار ليصل إليها فشاغلوا عنه الفيل بالطعن المزدوج ، ومنعوه من الوصول إليها قال (٢٦)

حاصروا مكة في صبابة
فتلهم ما إنجاب عنه فجرها
أو شعاب ، أو هضاب أو ربي
في حرير الله إذ يحمونه
ضاربوا أبرهة من دونه
شغلوا الفيل عليه في الوغى
عقدوا خير خبي في خير ناد
من قلب أو مصاد أو مراد
او بطاح أو نجاد أو وهاد
بالعوال السمر والببيض الحداد
بعدما لف بياضها بسواد
بثوام الطعن في الخطر الفراد

فاستلهمت هذه الصورة معطياتها من سورة الفيل لجعلها خلفيةً لصورته الشعرية مع إيجاد شكل من التمازج بينهما عبر أسلوب التمازج داخل المشهد الشعري .

ثالثاً : المستوى الثالث : وتتجلى فيه مقدرة ابن هانئ الأندلسي وعمق ثقافته الدينية وعظيم استلهامه لألفاظ القرآن الكريم ومعانيه حتى جعل من قصائده قرآناً خاصاً به يرتل آياته ترتيلاً وإن ما من أحد يحسن قول الشعر كما يحسنه يقول (٢٧)

حتى رأيت قصائدي منحولة
ولأن بقيت لأخيل لعزها
حتى كأني ملهم وكأنها

فقد استطاع بما رزق من موهبة وملكة أدبية من الاتكاء على أسلوب بلاغي آخر معتمداً على تكتيك (الإشارة والتلميع) مؤكداً قوة الأصرة التي تشده الى تراثه الديني وإبداعه الروحي يقول (٢٨)

أرى مدح كالمدرج لله أنه
إشارة منه الى قوله تعالى (٢٩) { فسيح بحمد ربك وأستغفره إنه كان غفارا }
وأيضاً قوله (٣٠) واصفا المعز الفاطمي

كأنما في كفه للورى
فقد جعل من المعز الفاطمي سيد الخلق بيده الآجال والأرزاق
{ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو }
وقوله أيضاً (٣٢)

فتربصوا تالله منجز وعده
مستقيماً صورته من قوله تعالى (٣٣) { ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده }
وقوله (٣٤)

وما خلقت عبثاً أمة
ففيه إشارة الى قوله تعالى (٣٥) { أحسب الإنسان أن يترك سدى }

وفي موضع آخر يوظف قصة بني إسرائيل وعذابهم مع فرعون وقارون بكل طغيانهم وجبروتهم ويقلب المعنى - عبر أسلوب التلميع - من ذم في القرآن الكريم الى مدح جوهر الفاطمي قائد المعز في قوله (٣٦)

ولما تغشت جانب الأرض فتنة
رمى بك قارون المغارب عاتياً
ونستطيع أن نلاحظ مدى الثقافة الدينية التي تمتع بها ابن هانئ الأندلسي وكيف استطاع أن يوظف قصة

يأجوج ومأجوج - عبر أسلوب التلميع - وكيف أن مخلص القوم استعان بالحديد المذاب ليبنى لهم سداً ، لكن المعز الفاطمي استبدل الحديد بالذهب في قوله (٣٧)

يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه
ويسبك فيها ذائب التبر سائبك

وقوله أيضا (٣٨)

نزلت ملائكة السماء بنصره وأطاعه الإصباح والإمساء مشيرا إلى ما ورد في القرآن الكريم من نصر الله للمسلمين في معركة الخندق وكيف أمدتهم بجنود من الملائكة في قوله تعالى (٣٩) { وأنزل جنوداً لم تروها } كذلك الحال مع المعز الذي نصره الله وأمد به بما يعينه في نصره

هوامش المبحث الاول

- ١- زهرة الآداب وثمر الألباب للقيروان : ١٤٠/١
- ٢- ينظر أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي هادي طالب (رسالة ماجستير) : ٩
- ٣- ينظر الادب الأندلسي للتطور والتجديد د. محمد عبد المنعم الخفاجي : ٤٢٣
- ٤- الديوان : ١٥٥
- ٥- سورة العصر آية ١
- ٦- سورة الفجر آية ١-٣
- ٧- الديوان : ٥٦
- ٨- سورة طه آية ٢٥ - ٣١
- ٩- الديوان : ١٥ - ١٧
- ١٠- سورة الرحمن آية ٢٤
- ١١- سورة النازعات آية ٤
- ١٢- سورة ص آية ٢١ - ٢٥
- ١٣- الديوان : ٥٢
- ١٤- سورة ص آية ٣٠ - ٣٣
- ١٥- الديوان : ٢٣٣
- ١٦- المصدر نفسه : ٣٠٣
- ١٧- سورة الحديد آية ٢٢-٢٣
- ١٨- الديوان : ٢٧
- ١٩- سورة الأنعام آية ١٣٤
- ٢٠- سورة الرحمن آية ٢٦ - ٢٧
- ٢١- الديوان : ٣٧٦
- ٢٢- المصدر نفسه : ٣٥
- ٢٣- المصدر نفسه : ١٦٦
- ٢٤- سورة الحج آية ٤٦
- ٢٥- سورة الاعراف آية ١٧٩
- ٢٦- الديوان : ١٥٦
- ٢٧- المصدر نفسه : ٩٦
- ٢٨- المصدر نفسه : ٧٨
- ٢٩- سورة النصر آية ٣
- ٣٠- الديوان : ٣٣٠
- ٣١- سورة الانعام آية ٥٩
- ٣٢- الديوان : ٢٠٤
- ٣٣- سورة الحج آية ٤٧
- ٣٤- الديوان : ٢٥
- ٣٥- سورة القيامة آية ٣٦
- ٣٦- الديوان : ٧٧
- ٣٧- المصدر نفسه : ٨١
- ٣٨- المصدر نفسه : ١٥
- ٣٩- سورة التوبة آية ٢٦

المبحث الثاني أثر العقيدة الإسماعيلية في شعر ابن هانئ الأندلسي

توطئة

كان ابن هانئ الأندلسي شاعرا مذهبيا لا يؤمن بالفن فقط وإنما يستخدمه في تدعيم مذهبه العقائدي فقد اتصل بزعماء الدولة الفاطمية بعد هجرته من الأندلس وعمل للدعوة الإسماعيلية التي ورثها من أبيه فكان لسانها الناطق وداعيتها ذا الصوت الجهير حتى صار شعره لسان الدعوة الإسماعيلية الناطق يردد في محافلهم ومجالسهم ، واهتموا به وسجلوه دون غيره من الشعراء كونه يحمل كثيرا من عقائد الفاطميين وأفكارهم

وتقدسهم للخلافة والخليفة (١). ومن هنا كثرت في شعره مصطلحات الاسماعيليين وآرائهم وبدت في نتاجه خطوط مذهبهم وروح دعوتهم واشتمل أسلوبه على كثير من مواطن الحجاج والتعليل ومحاولة الإقناع المنطقي ، وربما لا تخلو قصيدة من قصائده من عشرات الأمثلة على ذلك (٢). ويؤمن الشيعة الفاطميون الاسماعيليون بمجموعة من المبادئ التي كان صداها حاضرا في شعر ابن هانئ الأندلسي حتى غدا ديوانه يمثل صورة واقعية لتعاليم الإسماعيلية الفلسفية إذ كانت العقيدة الإسماعيلية متأصلة في روحه كونه نهل أصولها وأساسها من والده الذي كان أحد دعاة المذهب الاسماعيلي حتى عدَّ شعره الإطار الروحي للدعوة الإسماعيلية (٣) الذي تحرك فيه ابن هانئ تحركا ارتقائيا ، وأن تعاليم هذا المذهب لتبدو جلية في شعره ومن أبرز هذه المبادئ هي :

أولاً : مبدأ الإمامة :يعد هذا المبدأ من أهم تعاليم الدعوة الإسماعيلية وأخطرها والإمام في نظرهم هو "علة المخلوقات وحياة الكل وبه ترتب الخلق والدين وهو موجود غير مفقود لا يدركه زمان ولا يدخل تحت حوادث الأيام " (٤) وبناءً على هذه الفكرة فهم يرون أن إمامة الفاطميين ربانية وطاعتهم فريضة مكتوبة على كل مسلم إذ يتمتعون بفضائل فطرية تجعلهم مبرئين من الذنوب مطهرين من الآثام ولا يقعون في أية خطيئة مهما كانت صغيرة لما ينتقل في أصلابهم - حسب اعتقادهم - من نور الهي - ينقي أرواحهم ويخليها من دواعي الشر (٥) يظهر ذلك جلياً في مدح المعز الفاطمي (٦)

معز الهدى والدين والرحم التي	صنائعه في آله وزكى الذخر
فقد صارت الدنيا إليكم مصيرها	وصار له الحمد المضاعف والشكر
إمام رأيت الدين مرتبطاً به	فطاعته فوز وعصيانه خسـر
أرى مدحاً كالمـدح لله إنه	قنوت وتسبيح تحط به الوزر
هو وارث الدنيا ومن خلقت له	ومن الناس حتى يلتقي القطر القطر

فالإمام صنو الإيمان بل يكاد يكون الإيمان نفسه فإذا ما كان الإنسان مطيعاً للإمام فهو فائز لا محالة لذلك كان من الواجب على ابن هانئ - حسب مذهبه - أن يجعل طاعة الإمام كطاعة الله ومن ذلك قوله أيضاً (٧)

فكونوا حصيداً خامدين أو ارعوا
أطيعوا إماماً للأئمة فاضلاً
فان تتبعوه فهو مولاكم الذي

الى ملك في كفه الموت والنشر
كما كانت الأعمال يفضلها البر
له برسول الله دونكم الفخر

وفي موضع آخر نجده يحاول التماس العذر لنفسه في وصفه للمعز الفاطمي كونه يمت بصلة الى آل البيت (ع) وينتهي نسبه الى الزهراء عليها السلام (٨)

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا	لجاً سواكم عاصم ومجار
أنتم أحباء الإله وآله	خلفاءه في أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والهدى	في البيئات وسادة أطهار
والوحي والتأويل والتحريم	والتحليل لا خلق اليه يُشار
لو تلمسون الصخر لأنبجست به	وتفجرت وتدفقت أنهار

فهو شاعر لم يعرف الى الاعتدال طريقاً ولم تحده حدود مما جعله يكيل صفات الذات الإلهية حتى يصل بممدوحه الى مرحلة الإلهية مخرجاً إياه عن صفات البشر ليصل درجة قريبة من أصحاب الخوارق لأن الإمام يتسم عند الاسماعيليين بالعصمة ومن هنا كان غلوه منسجماً مع معتقده ، يظهر ذلك في قوله (٩)

لكل بني أحمد فضله	ولكنك الواحد المجتبي
ليعرفك من أنت منجائه	إذا ما أتقى الله حق التقى

وقوله أيضاً (١٠)

تسعى بنور الله بين عباده	لنضئ برهاناً لهم تلوحا
وجد العيان سناك تحقيقاً ولم	تخط الظنون بكنهه تصريحاً

ولم يكتف الشاعر ما أورد وقدم من صفات في حق الخليفة الفاطمي الذي يمثل عنده رتبة الإمامة بل وصل به الأمر الى أن يجعله صاحب الشفاعة رافعاً إياه الى مرتبة الرسول (ص) حين يقول (١١)

هذا الشفيع لأمة يأتي بها	وجد ودّه لجدها شفعا
هذا أمين الله بين عباده	وبلاده إن عدت الأبناء

فعلية من سيما النبي دلالة
للناس اجتماع على تفضيله
ثانياً : مبدأ المثل والممثل :ويقوم هذا المبدأ -عند الاسماعيليين- على حقيقة مفادها إن للقرآن ظاهراً ووراء
ظاهره باطن لا يعلمه الا أئمتهم خصوا به دون غيرهم من البشر ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى (١٢)
{ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث } فظاهر القرآن مثل وباطنه ممثل ، وجسم الإنسان مثل
وباطنه ممثل مما دعاهم إلى الغلو والاتساع في تأويل آيات القرآن الكريم (١٣)
يظهر ذلك جلياً في قول ابن هانئ مادحاً المعز الفاطمي (١٤)

وحسبي مما كان أو هو كائن
ولم تحرق سجع الغيوب هو اجس
وأعلم ان الله منجز وعده
وأنت معد وارث الأرض كلها
ولله علم ليس يحجب دونكم
وذكرك تقديس وأنت دلالة
ألا أنما الدنيا رضاك لعاقل
وأن طال عمر في نعيم وغبطة

دليلان علم بالاله وتجريب
ولكنه من محارب الله محروب
فلا القول مأفوك ولا الوعد مكذوب
فقد حُم مقدور وقد خُط مكتوب
ولكنه عن سائر الناس محجوب
وحبك تصديق وبغضك تكذيب
وألا فإن العيش هم وتعذيب
فما هو الا من يملك موهوب

وهكذا يستفيض في منح الصفات الإلهية للممدوح دون أيما تخرج إذ يقول (١٥)
فأحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنصارك الأنصار
وتخمد أن تراه النار

ما شئت لا ما شئت الأقدار
وكأنما أنت النبي محمد
هذا الذي ترجى شفاعته غداً

فقد عبرت هذه الأبيات عن وجهة نظر ابن هانئ الأندلسي للخليفة الفاطمي وإن كان قد تجاوز حد المعقول في وصفه وهي ما تمليه عليه عقيدته الفاطمية التي يرى أصحابها أن الأئمة هم مبرؤون من المادة نوراً خالصاً وهم يمثلون باطن الوجود معتمدين في جل أفكارهم على تأويل الآيات القرآنية ، وبناءً على ذلك صارت المشيئة مرتبطة بالأمام لأن حكم الأشياء بيده وهو الواحد القهار ومن ذلك قوله أيضاً (١٦)
والريح تبعث أنفاسها معطرة
كأنما هي أنفاس المعز مرت
تالله لو كانت الانواء تشبهه

مثل العبير بماء الورد يختلق
لا شبهة للندى فيها ولا غلط
ما مرّ بس على الدنيا ولا قنط

وانطلاقاً من هذه النظرية نراه لا يسبغ على ممدوحه من صفات الله تعالى وحدها بل يجعل ذات الخليفة نفس ذات الله فهو وجه الإله إذ يقول (١٧)
وجه بجوهر ماء العرش متصل
يا أفضل الناس من عرب ومن عجم

عرق بمحض صريح المجد مرتبط
وأل أحمد إن شبووا وإن شمسوا

وهذه المعتقدات التي غالى ابن هانئ في إظهارها في شعره نابعة من تمسكه بأصول العقيدة الفاطمية وتشربه لمبادئها التي لا تتوانى في إضفاء الصفات الإلهية للخلفاء الفاطميين عبر الإغراق في التأويل للآيات القرآنية في مدح خلفائهم ، كقول ابن هانئ الأندلسي مادحاً يحيى أخا الخليفة المعز الفاطمي (١٨)
لكل قوم سيد ماجد
يصرح المجد إذا ما بدا
فإن يكن سيف إمام الهدى
كأنما في كفه للورى
الحوض حوض الله في كفه

لكن يحيى سيد الخلق
ويسجد الباطل للحق
قهر إمام الفتق والرتق
مفتاح الأجال والارزاق
يطفح من ملاء ومن فقه

ويتصاعد غلوه ويتضح بصورة جلية في قصيدته التي قالها في مدح المعز الفاطمي حين استخدم لغة القرآن الكريم وأعار صفات اختصت بها الذات الإلهية دون أن تكون لغيره تعالى مستقياً معانيه من نظرية المثل والممثل التي يؤمن بها إذ يقول (١٩)

لك الدهر والايام تجري صروفها
وأنت بدأت الصفحة عن كل مذنب

بما شئت من حتف ورزق مقسم
وأنت سننت العفو عن كل مجرم

رأيتك من ترزقه يُرزق من الوري
ومن لم تأيد ملكه يهو عرشه
وأشهد إن الدين أنت مناره
ولله سيف ليس يكلم حده
وللوحى برهان ألد خصومه
وللدهر سجل من حياة ومن ردى

دراكاً ومن تحرم من الناس يحرم
ومن لم تثبت عزه يُتهدم
وعروته الوثقى التي لم تقصم
على أنه ان لم تقلده يكهم
ولكنه ان لم تؤيده يُخصم
ولكنه من بطن كفيك ينهمي

فقد عمد على إضفاء الصفات الإلهية للممدوح مما يكفي لجعل الناس يحكمون بتكفيره فهو – المعز الفاطمي – يرزق ويصفح ويعفو ويؤيد من يشاء من البشر ، حتى إن الوحي إن لم يؤيده المعز يغلب بالخصومة . ومذائح ابن هانئ الأندلسي للمعز الفاطمي تنحى في معظمها منحاً باطنياً ولا تتقيد بالشكليات استلهمها من أصول عقيدته الفاطمية ووظفها توظيفاً ذا قيم فنية جعلت من الممدوح يبلغ الصفات الإلهية عاكساً جوهر تلك العقيدة كقوله (٢٠)

وعلمت من مكنون علم الله ما
لله فيك سريرة لو أعلنت
لو كان أعطى الخلق ما أوتيته
لولا حجاب دون علمك حاجز
لو لم تكن سبب النجاة لأهلها
لو لم تعرفنا بذات نفوسنا

لم يؤت جبريلاً وميكائلاً
أحيا بذكرك قاتل مقتولا
لم يخلق التشبيه والتمثيلاً
وجدوا الى علم الغيوب سبيلاً
لم يغن إيمان العباد فتية
كانت لدينا عالماً مجهولاً

فعلم المعز كما يقول ابن هانئ هو علم رباني لأن الأئمة هم ورثة علم رسول الله (ص) وبما إن علم الرسول (صلى الله عليه واله) رباني فعلمهم كذلك .

ثالثاً : نظرية الدور : وهو المبدأ الذي يفصل العقيدة الاسماعيلية عن الشريعة الإسلامية فصلاً تاماً ، إذ يزعمون إن الأئمة منذ آدم يتوالون في أدوار كل دور يتكون من سبعة أئمة والسابع هو الامام الناطق الممثل للعقل الكلي الفعال الذي انتقلت إليه قدرة الله وعنه تصدر النفوس الكلية التي يمثلها الأئمة الستة في الدور كما تصدر جميع المخلوقات عنه (٢١) . لقد كان لهذه النظرية حضور واسع في شعر ابن هانئ الأندلسي ولما كان المعز الفاطمي نهاية السبعة الثانية من الأئمة الفاطميين – حسب اعتقادهم – فإنه كان يتمثل فيه نور كل إمام سابع قبله من الأنبياء (٢٢) فيتمثل فيه نور نوح (ع) (٢٣)

لو كنت نوحاً منذراً في قومه
ما زادهم بدعائه تضليلاً

ويتمثل فيه قبس موسى (ع) وشعلته وهده (٢٤)

من شعلة القبس التي عرضت على

موسى وقد حارت به الظلماء

ويتمثل فيه نور المسيح (ع) الذي كان يبئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى (٢٥)

لدعيت من بعد المسيح مسيحاً

أقسمت لولا أن دعيت خليفة

ويتمثل فيه نور الرسول الخاتم (ص) المشاهد في كل نور بملوكوت السموات (٢٦)

وكأنما أنت النبي محمد

ويبلغ به الغلو حتى لا يكتفي بحلول أرواح الأنبياء في المعز الفاطمي بل يجعل الله يحل فيه (٢٧)

حل بها آدم ونوح

حل برقاده المسيح

وكل شيء سواه ريح

حل بها الله ذو المعالي

ويعتقد الفاطميين أن النور الإلهي يتجلى في كل دور من الأدوار حتى يبلغ كماله في الإمام الناطق الحامل للرسالة النورانية (٢٨) . وقد استوحى ابن هانئ الأندلسي هذه الفكرة موظفاً إياها في مدحه للمعز الفاطمي حتى جعله (روح هدى وجسم نور) (٢٩)

وروح هدى في جسم نور يمدّه

شعاع من الأعلى الذي لم يجسم

ومتصل بين الاله وبينه

ممر من الاسباب لم يتصرّم

إذا أنت لم تعلم حقيقة فضله

فسائل به الوحي المنزل تعلم

على كل خط من أسرة وجهه

دليل لعين الناظر المتوسّم

فأقسم لو يأخذ الناس وصفه

عن الله لم يعقل ولم يتوهّم

ألا أنما الأقدار طوع بنانه

فحاربه تحرب أو تسالمه تسلم

فجسد المعز لم يعد مادة ترابية حتى صار مرتبطاً بالذات الإلهية .

وقد انتقل الشاعر نقلة واسعة إذ جعل المعز نوراً خالصاً وكأنما ليس فيه شيء من المادة ولا من الطبيعة البشرية ويصرح بذلك إذ يقول إن العيان والحس إنما يشهدان سناه وضيائه أما هو فكلذات الإلهية لا تحيط

الظنون بكنهه وحقيقته (٣٠)

تسعى بنور الله بين عباده
وجد العيان سناك تحقيقاً ولم
صورت من ملكوت ربك صورة
شهدت بمفخر ك السماوات العلى
تدعوهُ منتقماً عزيزاً قادراً
أوتيت فضل خلافة كنزوة
وقوله أيضاً (٣١)

لتضيء برهاناً لهم وتلوها
تحت الظنون بكنهه تصرّحاً
وأمدّها علماً فكنت الرُّوحاً
وتنزل القرآنُ فيك مديحاً
غفارٌ موبقة الذنوب صفوحاً
ونجيّ الهام كوحى يوحى

أبني النبوة هل نبادر غاية
أن الخبير بكم أجدر بخلقكم
أتاكم القدس الذي لم يؤت
إننا استلمنا ركنكم ودنوتكم
فوصلتكم ما بيننا وأمدكم
ما عنركم أن لا تطيب فروعكم
أعطتكم شمس الأنوف مقادة

ونقول فيكم خير ما قد قيل
غيباً فجرد فيكم التنزيلاً
بشراً وأنفذ فيكم التقضيل
حتى استلمتم عرشه المحمولا
برهانه سبباً به موصولا
ولقد رسختم في السماء أصولاً
وركبتهم ظهر الزمان ذلولاً

وبحسب هذه النظرية فإن الرسول (ص) هو عقل كامل وأن علياً (ع) وصيه نفساً كلياً ومما زعموه أن نفوس الأئمة الستة قبل العقل الناطق تعود بعد الوفاة الى عالم العقول وتصبح مثله عقولاً كلية مدبرة للكون (٣٢)

وقد تجسدت هذه الفكرة في قول ابن هاني الأندلسي مادحاً المعز الفاطمي (٣٣)

بدأ الإله وغيبها المكنون
أُم الكتاب وكون التكوين
عفواً وفاء ليونس اليقطين
ارض ولكن السماء تعين
لم ينج نوحاً فلكه المشحون
تحت المظلة بالسلام يمين

هذا ضمير النشأة الاولى التي
من أجل هذا قدر المقذور في
ويذا تلقى آدم من ربه
حاشى لما حُمِلت تحمل مثله
لو يلتقي الطوفان قبل وجوده
ولأنت أفضل ما تشير بجاهه

هوامش المبحث الثاني

- 1- ينظر الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة د. أحمد هيكال : ٣٢١
- 2- ينظر تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والامارات / مصر د. شوقي ضيف : ٢٤٤
- 3- ينظر ملاحم الشعر الأندلسي د. عمر الدقاق : ٨٨
- 4- أربع رسائل في الاسماعيلية عارف تامر : ٥٥
- 5- ينظر المصدر نفسه
- 6- الديوان : ١٣٤
- 7- المصدر نفسه : ٧٨
- 8- المصدر نفسه : ١٥٠
- 9- المصدر نفسه : ٢٥
- 10- المصدر نفسه : ٢٦
- 11- المصدر نفسه : ١٣
- 12- سورة يوسف آية ٦
- 13- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والامارات / مصر د. شوقي ضيف : ٢٤٥
- 14- الديوان : ٣٩
- 15- المصدر نفسه : ٤٦
- 16- المصدر نفسه : ١٥٨
- 17- المصدر نفسه : ٥٤
- 18- المصدر نفسه : ٢٣٠
- 19- المصدر نفسه : ٣١٧
- 20- المصدر نفسه : ٢٧٣
- 21- ينظر ابن هاني الأندلسي عارف تامر : ٥٩
- 22- ينظر المصدر نفسه : ٥٩
- 23- الديوان : ٢٧٣
- 24- المصدر نفسه : ٥
- 25- المصدر نفسه : ١٧
- 26- المصدر نفسه : ١٤٦
- 27- المصدر نفسه : ٧١
- 28- ينظر تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والامارات / مصر د. شوقي ضيف : ٢٤٦

الخاتمة :

- بعد ان شارف البحث على نهايته كان من الضروري ان نعرض خلاصة له ونكشف عن اهم نتائجه :
- ١- ابن هانئ الأندلسي شاعر مكثّر مجيد دلّ شعره على انه كان ملماً بعلوم عدة كعلم اللغة والفقه والكلام مما دفع معظم النقاد ان يجعلوه في مقدمة شعراء المغرب ولقبوه بمتنبي الغرب .
 - ٢- كان يعمد في شعره الى غريب اللغة وقعقة الفاظها ويتكلف المبالغة ويغلو حتى ان من نقد شعره عاب عليه اهتمامه بالألفاظ دون الأفكار واتهموه بمحاولة إبراز قدرته اللغوية في النظم .
 - ٣- إن الثقافة الإسلامية ومصدرها الرئيس القرآن الكريم قد ادى دورا مهما في حياة الشاعر وظهر تأثيرها واضحا في شعره فانطبعت آثاره على معظم أغراضه الفنية وتسربت ألفاظه وتعبيره الى خلايا شعره .
 - ٤- تعامل ابن هانئ الأندلسي مع النصوص القرآنية تعاملًا ذكيا ظهر على مستويات ثلاث (تصريحاً او تلميحاً او إشارة) دالة على حفظه للقرآن الكريم وتشربه لمعانيه وتمرس فكره بهديه وتأثره بنصوصه وأفكاره تأثراً قوياً .
 - ٥- إن من بواعث حضور المعالم القرآنية وأثرها الكبير في شعره لا تتمثل بالغاية الدينية فحسب بل قد يلجئ اليها لاعتبارات ذاتية وكوامن نفسية تتمثل في سببين أساسيين احدهما إضفاء القداسة لعقيدته الاسماعيلية وتكريس شرعيتها في أذهان الناس والثاني المنفعة في القربى من الممدوح – الخليفة – وانتهاز المواقف التي تقربه اليه .
 - ٦- معظم قصائده مملوءة بالألفاظ والمدارك الفاطمية والمبالغة بالمديح والثناء ومما لا شك فيه انه كان يأتي بهذه المبالغات ارضاءً للممدوحين واستكثاراً لعطاياهم وجوائزهم .
 - ٧- اشتمل شعره على النزعة السياسية والعقيدة المذهبية متعاقبتان في اكثره حتى غدا شعره مرآة للعقيدة الاسماعيلية وتعاليمها وعدّ ديوانه سجلاً لمصطلحاتهم وآرائهم .
 - ٨- كان ابن هانئ الأندلسي شاعراً عقائدياً يتفجر شعره بعاطفة فوارة وايمان قوي لا يعرف الاعتدال ولا الحدود وبخاصة في مدائحه للإمام المعز الفاطمي فهو يضيف على ممدوحه من الصفات ما يكاد يخرج عن صفات البشر ويجعله أقرب الى الإلهية

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابن هانئ الأندلسي عارف تامر ، بيروت ١٩٦١
- ٣- اثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي خلال عصري دول الطوائف ودولة المرابطين ٤٢٢ هـ - ٥٤٢ هـ هادي طالب محسن (رسالة ماجستير) كلية التربية / جامعة بابل ٢٠٠٣ .
- ٤- الأدب الأندلسي التطور والتجديد د. محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الجيل بيروت د.ت
- ٥- الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل ، دار المعارف القاهرة ط ١٣ ، ٢٠٠٢
- ٦- اربع رسائل في الاسماعيلية عارف تامر ، بيروت ١٩٦٣
- ٧- تاريخ الأدب العربي الى آخر عصر ملوك الطوائف د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين ط ٢ ، ١٩٨٤
- ٨- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات / مصر د. شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ١٩٧٩
- ٩- ديوان ابن هانئ الأندلسي دار صادر بيروت د.ت
- ١٠- زهرة الآداب وثمر الألباب القيرواني ابي اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ) تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ بيروت ١٩٧٢
- ١١- شعراء الأندلسي د. محمد العريس ، دار اليوسف بيروت / لبنان ط ١ ، ٢٠٠٥ م
- ١٢- معجم الأدباء الحموي ياقوت بن عبد الله طبعة أخيرة منقحة طبع دار المأمون د.ت
- ١٣- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي ، القاهرة ١٩٥٣ م
- ١٤- ملامح الشعر الأندلسي د. عمر الدقاق منشورات دار الشروق ، بيروت ١٩٧٤ م
- ١٥- موسوعة شعراء الأندلس عبد الحكيم الوائلي ، عمان دار اسامة ط ٣ ، ٢٠٠٩ م
- ١٦- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقرئ ابو العباس احمد بن محمد تح د. احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨ م
- ١٧- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ابن خلكان احمد بن محمد بن ابي بكر تح د. احسان عباس دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ م